التصوير الاغريقى
فى مرحلته الأولى

للدكتور أحمد موسى

كان الفنان المصرى إذا صوّر جماعة من الناس أو الحيوان أو المواد ، فإنه يضعها بحيث يكون بعضها خلف بعض أو إلى جانبه ، من غير مراعاة الوضع الطبيعى الذى كانت تظهر به أمام عينيه ، وكان هذا هو الحال أيضاً عندما أراد التصرف بعض الشىء — مثلاً — فى تصوير مائدة عليها أدوات أو مواد ، فتراه يصورها قطعة قطعة ، كما لو كانت متفرقة غير مجتمعة على مائدة واحدة ؛ ذلك لأنه لم يكن يعرف أصول تصوير المجسمات ، وعلاقة الحجم والبعد بالتصوير المنظور Perspective وكان هذا سبباً جوهرياً فى ظهور مختلف الصورات التى مثلت شئون حياته الزراعية والصناعية والدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها ، كما لو كانت متجاورة بالرغم من أن بعضها كان يجب أن يخفى البعض الآخر بحسب وضعه وراءها .

كما أن نظرة الفنان المصرى لجماعة من الناس بينها شخصية بارزة ، دفعته حيناً إلى إظهار هذه الشخصية بمقياس أكبر من المقياس الذى تقيد بتنفيذه فى مصوراته ، غير ناظر إلى موقع هذه الشخصية من حيث البعد أو القرب منه ، أو لوضعها بالنسبة إلى مجاوريها ، فضلا عن نظرته إلى جسم الإنسان على وجه الخصوص ، كما لو كان شيئاً يُنظر إليه من وضعين مختلفين ؛ فتراه كما ذكرنا فى مقال سابق[1] ، نظر إلى الرأس والبطن والساقين والقدمين من الجانب ، على حين نظر إلى العينين والكتفين والبطن من الأمام .

هذا هو التقرير العلمى عن التصوير المصرى القديم ، ذكرناه لتعريف القارئ بعض الشىء عنه ، ليلمس الفوارق بين فنين قديمين أحدهما فن قوى والآخر فن مَثلى بلغ الذروة التى تدفعنا دائماً إلى تلمّس آثاره والسير على نوره والعمل على استيعابه ، والمناداة بأنه وإن لم يكن أول الفنون جميعاً إلا أنه كان ولا يزال أعظمها خطراً وأجلها مظهراً وأصدقها تعبيراً .

لذلك كله لا نشك فى أن الإغريق خلقوا فناً تصويرياً حقيقياً

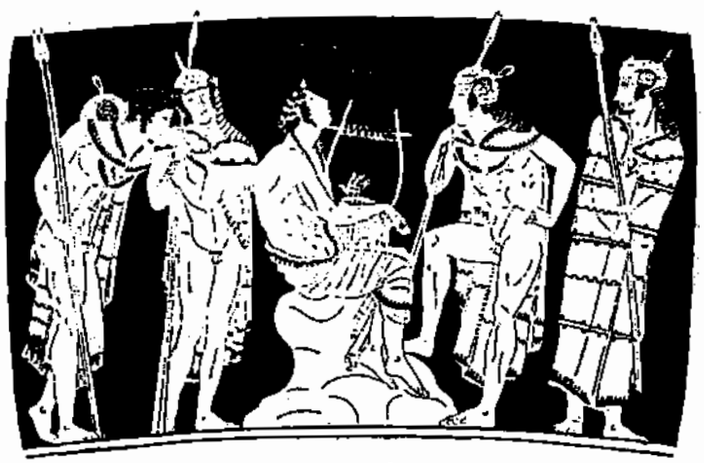

ش ١ (أورفيوس المغنى الساحر)
نقلا عن آنية الزهر المحفوظة بمتحف برلين — طابع بوليجنوت

تقدموا فيه بخطوات واسعة ووصلوا إلى نتائج باهرة .

إلا أنه لشديد الأسف لم يبق الكثير من آثارهم فيه ، وحتى الصور التى نقلت عن الأصول لا يمكن التأكد — غالباً — من صحة نقلها ، أو مطابقتها لما نُقلت عنه

وعلى ذلك فالتصوير الإغريقى الذى يمكن اتخاذه مادة لتأريخه

(١) راجع مقالنا : الفن المصرى — النحت والتصوير — بمجلة الرسالة

والوقوف على اتجاهاته ينحصر باستثناء قليل فى التصوير المرسوم على أوانى الزهر Vase Painting التى اتخذ منها الإغريق عالماً كاملاً لتصوير مختلف شئون الحياة عندهم ، وفى التصوير الزخرفى Decorotive Painting الذى جاء متأخراً ومعاصراً للرومان .

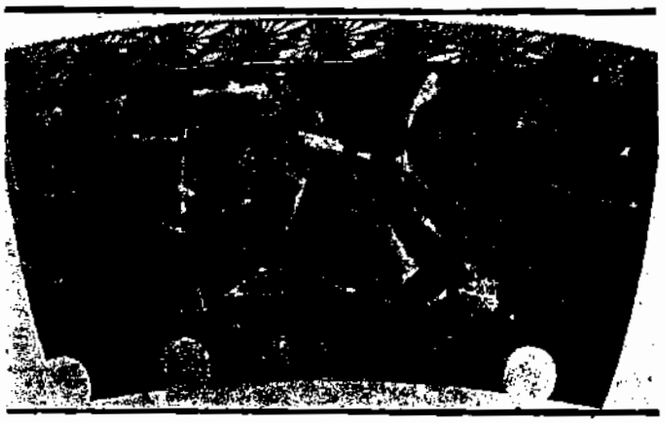

ش ٢ (سفر ثيسيوس بحراً)
نقلا عن آنية الزهر المحفوظة بمتحف بولونا — پوليجنوت

ولذلك كان معظم ما نعرفه عن التصوير الإغريقى أو قل كل ما نعرفه عنه مأخوذاً من المصادر المكتوبة .

وبالرغم من أن التصوير وصل فى دقته إلى درجة مثيرة لكل إعجاب ، فإنه لم يكن ليصل إلى درجة السمو والعظمة التى بلغها فن النحت الإغريقى الخالد ، وهذا لا يمنع من ذكر بعض فنانين مصورين ارتفعوا بفنهم إلى درجة عالية لا يمكن إغفالها أو إهمالها إطلاقاً .

وإذا شئت فقل : إن الاختلاف الجوهرى بين فن التصوير الإغريقى — على قدمه — وبين فن التصوير « الحديث » محصور فى ناحية « الظل والنور » وناحية « التلوين » Colorit .

أما من ناحية روح الفن والطابع المميز والطراز والموضوع الإنشائى وتقدير الجمال والوثوب إليه ورغبة تسجيله ؛ فإن مصورات الإغريق لم تكن لتقل نسبياً عن أعمال الفنانين المحدثين .

فقد كان المصور الإغريقى قادراً على تجسيم الرسوم وإعطائها شيئاً من الحياة ، ولكننا لا نزال نكرر القول بأنه لم يصل للدرجة الهائلة التى وصل إليها النحات والمثال[1] .

وظل التصوير إلى القرن الخامس قبل الميلاد بدائياً بسيطاً ، أى أنه سار فى أول أمره بخطوات أبطأ بكثير من تلك التى سار بها فن النحت .

ولعل أول ما يمكن ذكره عنه هو أنه تطور فى مدرسة أتيكا ، تلك المدرسة التى أسسها فى أثينا الفنان پوليجنوت Polygnot of Thasos المعتبر أول مصورى العالم بالمعنى الفنى ، والذى عمل بين سنة ٤٧٥ وسنة ٤٥٥ ق . م فى أثينا .

والفنان فى اعتبارنا لا يكون عظيماً إلا إذا كان له طابع مميز واتجاه معين ، مثله فى ذلك مثل الموسيقى والشاعر والكاتب ، وإلا ففى أى شىء آخر يمكن أن تظهر هذه العظمة ؟

إن كثرة إنتاج الفنان لما يساعد دون نزاع على درس طابعه واستخلاصه من خلال هذا الإنتاج ، ولكنها لن تكون سبباً فى تعظيمه أو تخليده ؛ إذ أن من بين أساطين التصوير من كان نسبياً قليل الإنتاج ومع هذا كان عظيماً ، على حين رأينا غيره ممن كثرت لوحاتهم وبقيت آثارهم لم يكن لهم نصيب فى الخلود فى عالم الفن ، نظراً لضآلة طابعهم المميز أو انعدامه .

ش ٣ (مراك الأسرونات)
نقلا عن آنية الزهر المحفوظة بمتحف نيويورك — پوليجنوت

وها هو ذا المثل بين أيدينا ، فالمصور پوليجنوت مع قلة ما أنتجه وضآلة ما وصل إلى أيدينا من خلقه ، كان فذاً بارزاً

(١) راجع مقالينا عن فيدياس وبركسيتلس فى الرسالة (النحت) وكذلك مقالاتنا عن أكروپوليس أثينا وپارتنون وأرشتيون (النحت المعمارى)

لوضوح طابعه الدالّ على سمو نفسيته وقوة تعبيره ودقة ملاحظته.

ويتلخص هذا الطابع فى أنه أول من ابتدع التصوير التذكارى الذى سار فيه متجهاً نحو المثل الأعلى؛ فدلّ فى جلاء على النضوج العقلى . وإلى جانب ذلك يُعد پوليجنوت أستاذاً فى التصوير الخطى

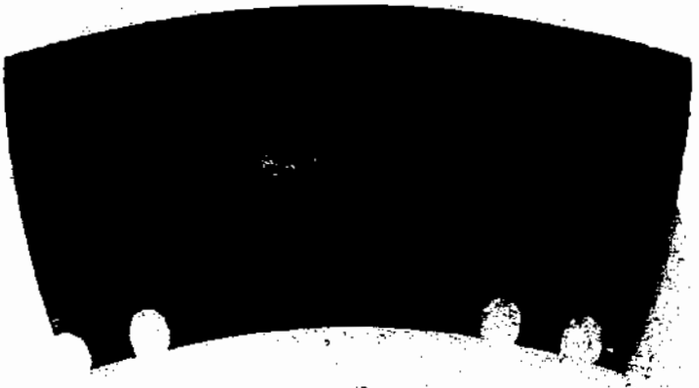

ش ٤ (انهزام الأرجونات)
نقلا عن آنية الزهر المحفوظة بمتحف اللوفر — مدرسة پوليجنوت

أى المكون من خطوط تحديدية خصصها لتصوير موضوعات أخلاقية أظهر فيها ناحية الجمال المثلى ، فكان كما أطلق عليه علماء الفن « مصور الأخلاق » Painter of Ethos ، ويمنون بذلك الانتماء إلى الاتجاه الفلسفى الذى يعنى بالتفرقة بين عادات الإنسان وبين ميوله لتحقيق فكرة الخير أو العمل مندفعاً نحو الشر .

على أن هذا الطابع وهذا الاتجاه ليس دليلاً على النضوج الفنى الذى لم يصل إلى نهايته فى التصوير ، ولذلك ، كما قلنا ، كانت معظم أعماله تصويراً خطياً لونها بألوان معدودة دون ظل ولا نور؛ فبدت أشبه شئ بصفوف بعضها وراء بعض على أرضية ذات مستوى واحد . وكان غالباً ما يرسم — فى ركن من الصورة — شجرة أو بيتاً قاصدا بذلك تمييز مصوراته متخذاً معظم مادته الإنشائية من سير الأبطال .

وأشهرما تبقى من إنتاجه صورتان حائطيتان فى ردهة الاجتماع بمدينة دلفى ، أولاهما مثلث « تخريب ترواده ورحيل الإغريق عنها» ، وثانيهما زيارة أوديسيوس — بطل تروادة — للدنيا السفلى .

كما أن له صورة حائطية مثلث « تشاور الإخائيين » فى ردهة السوق . وغيرها تمثل « الديوسكوريين يخطفون بنات لوسيپس » فى معبد ديوسكور أو معبد أبناء زويس من معشوقته إليدا Elida التى كان — كما تذكر القصة الإغريقية — يزورها وهو فى هيئة البجعة .

وكان له تلاميذ تأثروا به ونهجوا على منواله أهمهم ميكون Mikon الذى صور « أعمال ثيسيوس » فى معبد سمى باسمه ، ورسم « عراك الأمازونات » فى ردهة السوق . وتنسب إليه أيضاً (؟) صورة حائطية موضوعها « موقعة ماراثون » فى نفس الردهة ، وهى الموقعة المشهورة التى قامت فى البقعة المعروفة بهذا الاسم على ساحل أتيكا الشرقى ، والتى ترجع شهرتها إلى النصر المبين الذى أحرزه الأثينيون تحت قيادة ملتيادس على الفرس فى ١٢ سبتمبر سنة ٤٩٠ ق . م .

ووجد حوالى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد فنان ذو طابع جعل منه رائداً لمرحلة فنية ، هو أپولودور Apollodor الأثينى ، لأنه استطاع إبراز الصور بهيئة مجسمة وذلك بإدخال التظليل فيها بعد أن كانت صوراً خطية . ولذلك يطلق عليه مؤرخو الفن « مصور الظل » Skiagrophos فخطى بذلك خطوة جديرة بالتسجيل والإعجاب .

احمد موسى

سينما الكرسـال

ابتداء من يوم الاثنين ٢٧ فبراير لغاية الأحد ٥ مارس

يعرض الرواية الشهيرة لبيير ولف :

الهـاوية

تمثيـل

فرانسواز روزى ، ميشيل سيمون ، والنجمة الجديدة جاكى مليفيا ، جينيت لكلير ، بول جامبو

وموضوعها : يتلخص فى أن فتاة يتيمة أحبها ضابط من ضباط البحرية وقد جاءت إلى باريس تنتظره فيها ، وفى أثناء غيابه سقطت فى الرذيلة تحت تأثير الوحدة والفقر ، وقد ساعدها على هذا السقوط أم هذا الضابط ، وفى آخر الأمر نجت بفضل رجل جمع بين الفجور والمروءة . وانتهى أمرها إلى الزواج .

محمد القصبجي

من الوجهة الفنية

للأديب السيد محمد المويلحي

يحاول الآباء أن (يصبوا) أبناءهم في (قوالب) المجد فيبذلوا وسعهم من جهد ومال ليحققوا هذه الأمنية المرغوبة ... ولكن القدر ... يقف وينظر ويبتسم ! لأنه يعلم أنه المسيطر الآمر الذي يهيئ المستقبل الذي لا ينقض !

أراد الشيخ (القصبجي) الكبير أن يكون ابنه « محمد » صورة له ، فيلبس العمامة ، ويثقف ثقافة دينية تهيئه للتدريس بالمدارس الأولية ، فنجح إلى حد ما ... وحصل ابنه على كفاءة التعليم الأولي وامتهن التدريس سنة ... ولكن القدر كان يترصد الشيخ محمد الشاب المرح الذي يعبد الموسيقى ، فانتزعه من مدرسته وقلبه بين الحرمان والفقر وغضب الوالدين ، ولكنه تعلم خلال هذه المحنة كيف يتقن العزف إتقاناً عجيباً ... هذبته السنوات العجاف وربت في نفسه رجولة قوية ، وصبراً طويلاً . فتحدى الحياة ، وتحدى الفقر وانتصر عليهما ... ثم كان ما أراده القدر (القصبجي الموسيقار)

أول من خرج من الموسيقيين بتجديد (صحيح) وابتكار طريف ؛ وأول من جرد فغيَّر وبدَّل حتى أخرج للناس صوراً رائعة للموسيقى الفنية القوية

صاح في الشرق صارخاً بقطعته الخالدة (إن كنت اسامح) فعرف الناس أن في مصر صوتاً جميلاً لآنسة ترتدي العقال وتسمى (أم كلثوم) ... ! وأن في مصر ملحناً شاباً يسمى (القصبجي) أنقذ (التخت) الشرقي والمصري من جموده ، ونفض عنه ثوب (الملل) الذي كان يعلوه .

(إن كنت اسامح) ، هذا (المنولوج) الذي لحنه من نغمة (الماهور) بشكل لم يسبقه إليه سابق ، وقد بلغ من الذيوع والشهرة ما حبب الناس في الموسيقى ولفت نظر الملحنين إلى هذا الفتح الجديد . وقد بلغ من إقبال الناس على شراء هذا (المنولوج) أن باعت منه شركة أوديون مليوناً ونصفاً من الاسطوانات

ابتدع فن التطويل والمد ، وأدخل على التلاحين الشرقية لوناً (كلاسيكياً) أخذ عنه وتأثر به أكثر ملحني هذا الزمن

* * *

أهم ما يمتاز به عن غيره من الملحنين والمجددين أنك لا تستطيع أن ترد له لحناً إلى لحن قديم سمعته ، وأنك مهما كنت بارعاً عالماً لا تجد تلحيناً له يشبه الآخر كل الشبه أو بعضه كما نسمع في تلاحين غيره

أخرج للناس أكثر من خمسمائة (لحن) ما بين مونولوج وأهزوجة ودور، ولكنه انفرد بالتوفيق الكامل في (المنولوجات) وتمتاز تلاحينه القوية الحية بأنها لا تستغل الغرائز الدنيا فلا بكاء فيها ولا عويل، وبأنها تحتل الآذان فوراً لتصل إلى شغاف القلوب، فهو الملحن الوحيد الذي لا يكاد يخرج للناس شيئاً حتى تسمعه يجري على لسان الرجل والمرأة، والولد والبنت ، لا في مصر وحدها بل في بلاد الشرق قاطبة

طيب القلب لا يخاصم ولا يناوئ ولا يحمل ضغينة أو حقداً إلا من أجل المال والعمل مع أم كلثوم !

يعجبني فيه أنه شركة لا تنضب، فلو طلب منه تلحين (رواية) بأكملها وأغرى بالمال الذي يعبده لرأيت التلاحين تجري على لسانه وتسيل من فيه كأنها آتية من بحر خضم !

سمع مرة رجلاً يبيع (الزيتون الأخضر) وينادي عليه بصوت جميل، وبنغم جديد ساحر، فلم ير القصبجي بداً من متابعته والسير وراءه في الأزقة والحارات والدروب ، حتى وصلا إلى شارع في العباسية (شارع عبده باشا) وهناك حفظ اللحن والنغم الذي لحن به قطعته المحبوبة (يا قايلتي وانا روحي معاك) ..!!